المضامين التربوية لسيكولوجيا فرويد في مجال الطفولة: الأنساق التربوية في نظرية التحليل النفسي

علي أسعد وطفة ✪

يعدّ فرويد واحداً من أساطين عصره في مجال الفكر الإنساني، ومن دهاقنة زمانه في مجال علم النفس والتحلي ل النفسي. وقف فرويد زعيم مدرسة التحليل النفسي شامخ القامة إلى جانب العمالقة في تاريخ الفكر الإنساني برمته، واستطاع بما قدمه من تصورات علمية في مجال التحليل النفسي أن يوِّر عقلية عصره سيكولوجيا وتربويا. لقد أبدع منظومة من التصورات العبقرية في مختلف ميادين المعرفية الإنسانية. ولم يقف تأثيره في مجال علم النفس، بل امتد هذا التأثير بزحف مظفر في مختلف مجالات المعرفة في القرن العشرين، ولن نبالغ في التصور إذا قلنا إن ما قدمه قد تحول إلى تراث فكري إنساني يتغلغل في أعماق الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في حياتنا المعاصرة. فالمفاهيم التي طرحها في نظريته السيكولوجية أصبحت اليوم مفردات جوهرية وأساسية في مختلف أوجه نشاط الناس وفي تعاملاتهم اليومية على امتداد الجغرافية الإنسانية.

ومن السمات التي تميزت بها نظرية التحليل النفسي أنها تحركت خارج الإطار المعهود للثقافة والفكر والمعرفة العلمية المنظمة . لقد أصبحت هذه النظرية جماهيرية ، بمعنى أنها قد أصبحت ثقافة عامة ويومية لأغلب الفئات في السلم الاجتماعي والثقافي. وبهذا يكون فرويد قد اخترق الجدار النخبوي ليتحول إلى ظاهرة ثقافية عامة تتغلغل في الوجدان الإنساني في مختلف طبقات هذا الوجدان ومستوياته الاجتماعية. لقد أصبحت تصورات فرويد ومفاهيمه متجذرة في الوعي العام ، متأصلة في العقل الجمعي ، وغدت وقودا حقيقيا ينبض في عقول

✪ أستاذ أصول التربية – جامعة الكويت – عضو اتحاد الكتاب العرب .

العامة والخاصة على حدّ سواء، وبعبارة أخرى .. أصبحت أفكاره السيكولوجية ملح الثقافة العامة وخبزها. وهذه الميزة يتفرد بها فرويد ، ويندر أن عرف مثيلها على مدار الفكر الإنساني عبر التاريخ. والمدهش في الأمر أن نظرية التحليل النفسي ليست نظرية عادية ، بل هي من أكثر النظريات صعوبة ودقة وتعقيدا؛ ومع ذلك ورغم هذا التعقيد ، فإنها قد أصبحت عمقا ثقافيا للناس ، عامتهم وخاصتهم على حدّ سواء. ومن يراقب الوضعية الثقافية العامة في أي مكان من جغرافية الكون سيجد بأن مفردات نظرية التحليل النفسي مثل: الشعور واللاشعور ، الوعي واللاوعي ، والعقل الباطن والكبت والنكوص والإسقاط والليبدو والأنا والهو والأنا الأعلى من أكثر مفردات الدنيا شيوعا بين الناس ومن أكثرها استخداما في المستوى العلمي.

وفوق ذلك كله ، فإن نظرية التحليل النفسي، بما تنطوي عليه من أفكار عبقرية مدهشة ومبتكرة، قد تميزت بجاذبيتها وسحرها الكبيرين، واستطاعت أن تلامس أعماق الناس وتدغدغ عواطفهم وتمنحهم قدرة على فهم ذواتهم وإدراك أوضاعهم الوجودية، التي ترتبط بعقدهم النفسية والصعوبات التي تواجههم، وتعطي كثيرا من الناس فرصة متوازنة للتأمل الذاتي والكشف عن أعمق التكوينات الإنسانية والانفعالية في أعماقهم. ولهذا فإن هذه النظرية اكتسبت هذه الشهرة التي ينقطع نظيرها في تاريخ الفكر الإنساني.

لقد تكاثفت هذه النظرية تعبيرا عن روح العصر الذي ولدت فيه، وتبلورت طاقة كبيرة في الكشف عن مجاهل النفس الإنسانية ، لأن فرويد لم يؤسس نظرية عبقرية في علم النفس فحسب، بل هو الرجل الذي استطاع أن يكشف عن مجاهل النفس الإنسانية، وتفرد بين علماء النفس بقدرته على رسم خريطة العقل ، محددا فيها كل المناطق والزوايا والماهيات الغامضة. فالتحليل النفسي هو كشف في مجهول النفس الإنسانية . إنه غوص في الأعماق ، بل هو بحث في المناطق المظلمة للعقل والحياة النفسية الإنسانية. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذه النظرية، وتنطلق شهرتها التي طافت كل الآفاق ، وحطت رحالها في مختلف أصقاع العالم ، وشمخت على أعلى القمم الفكرية ، وهبت تتوغل في العقل العام ، أو ما يسميه فرويد نفسه العقل الجمعي.

لم يكن فرويد مجرد منظر في علم النفس، بل كان موسوعيا في إنتاجه العلمي، حيث يتخذ موقفا فلسفيا من العالم والوجود، وهو الذي كتب في مختلف مجالات المعرفة وميادينها؛ ولم يكن موسوعيا في إنتاجه المعرفي فحسب ، بل كان موسوعيا في تأثيره أيضا ، ولاسيما في مجال السياسة والفن والفلسفة والأدب. فنظريته هذه كانت أكثر قدرة على التوغل في مختلف

فروع واتجاهات المعرفة الإنسانية: في الأدب والفلسفة والدين والسياسة والحياة وعلم النفس والتربية. وكان الرجل يبدع مذهبا وطريقة وفلسفة في النظر إلى الكون وفهمه في أكثر جوانبه غموضا وظلامية. وتتبدى هذه الحقيقة في مختلف كتبه التي حاول فيها أن يستكشف كل الأعماق في مجال النفس ، كما هو الحال في مجال الدين، وفي مجال المجتمع ، وكما هو الحال في مجال الأنتروبولوجيا.

بلغت شهرة فرويد مداها وتجاوزت كل الحدود والآفاق، وقد أرخت هذه الشهرة ظلالها على عبقرية فرويد التربوية. فالجانب التربوي في نظرية فرويد وأعماله يمثل جانبا هاما من جوانب عبقريته ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق. ولو أخذنا بعين الاعتبار عقيدته السيكولوجية ؛ لوجدناها كشفا تربويا مستمرا ومشرقا في مجال الطفولة. فالتحليل النفسي هو في نهاية الأمر بحث في الطبيعة الإنسانية ، وفي طبيعة الطفل ، والطفولة تحديدا، وهي تشكل كشفا في الخريطة النمائية للإنسان عبر مجاهل النفس الإنسانية. ومن هذا المنطلق تحولت نظريته السيكولوجية إلى أكبر استثمار تربوي في تاريخ التربية والفكر التربوي. وبعبارة أخرى .. تعد نظرية التحليل النفسي كشفا تربويا ، بقدر ما هي كشف سيكولوجي. ومن هذا المنطلق نجد أن التربية في القرن العشرين، تتحرك على أسس سيكولوجية فرويدية في مختلف قطاعات الحياة التربوية في الأسرة ، وفي المؤسسات التربوية في مختلف أصقاع المعمورة.

ونحن هنا لسنا في مجال التحليل النقدي لعطاءات فرويد في مجال علم النفس، لأن مثل هذا التحليل والبحث قد استنفد ملايين الأطنان من الكتب والدراسات، التي كتبت حول نظريته وتصوراته السيكولوجية والتربوية ؛ حيث شكلت أعماله المختلفة وكتبه حقلا علميا للدارسين والباحثين والكتاب والمفكرين والطلاب والمثقفين على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين.

وفي هذا المستوى من بحثنا سنعمل على تقفي واستخلاص الملامح الأساسية للنظرية التربوية عند فرويد، عبر تحليله لطبيعة النفس الإنسانية ومكوناتها الرئيسة، ومن خلال عرض للعمليات والصيرورات السيكولوجية التي تحكم نماء الإنسان ، وتحدد أطوار نموه السيكولوجي والاجتماعي.

لمحة عن حياة فرويد

ولد سيجموند فرويد(Sigmund Freud) في مدينة فريبورج Freibberg من مقاطعة مورافيا (Moravie)[1] في السادس من مايو/أيار عام 1858. وتعود أصوله لأسرة يهودية من

مدينة كولونيا الألمانية. ولدت أمه بمدينة برودي في الجزء الشمالي من غاليسيا الواقعة بالقرب من الحدود الروسية، وقد نزح والدها إلى ڤيينا وهي لا تزال طفلة؛ ولما شبت تزوجت من جاكوب فرويد والد سيجموند فرويد ، حيث أنجبت له سبعة أبناء. وبسبب ظروف الحرب والشغب رحلت الأسرة إلى برسلاو بألمانيا ، وعمر سيجموند حينها ثلاث سنوات، ثم رحلت مرة أخرى إلى ڤيينا ، حيث أمضى معظم حياته (وبقى فيها إلى سنة 1938 ؛ حيث غادرها إلى لندن ليقضي أيامه الأخيرة فيها مصاباً بسرطان في خده . وقد أدركته الوفاة في 23 سبتمبر 1939 .

انتسب إلى الجامعة وتابع دراسته في كلية الطب في ڤيينا عام 1873، وعمل بعد تخرجه معيدا في مخبر علم النفس في بروكه Bruke ، ثم عمل بعدها طبيبا مقيما في أحد المشافي ؛ فأتاح له ذلك التواصل مع عدد كبير من الاختصاصات الطبية المتعددة ، مع الاهتمام الخاص بفيزيولوجيا الدماغ والجملة العصبية.

استطاع فرويد أن يحصل على منحة دراسية عام 1885، لمتابعة دراسته في مدرسة باريس ، وذلك لما عرفت به من شهرة علمية واسعة، وتتلمذ على يد الطبيب النفسي المشهور شاركو ، الذي أتاح له فرصة ثمينة لدراسة الحالات الهيستيرية وممارسة الإيحاء التنويمي الذي عرف به شاركو على نحو واسع في عصره [2].

وفي سنة 1886 عاد إلى ڤيينا وبدأ يشتغل بدراسة الحالات العصبية بعامة ، والهستيريا بخاصة ، مستعملاً التنويم المغناطسي. وفي صيف 1889 عاد إلى نانسي في فرنسا[3]، حيث قضى عدة أسابيع ، وكان لهذه الإقامة القصيرة أهمية كبيرة في تحديد مسار توجهاته العلمية، حيث بدأ اهتمامه الكبير يوجه إلى ظاهرة الإيحاء وتأثيرها بعد مرحلة التنويم المغناطيسي بالمنوَّم الذي ينفذ الأوامر التي تلقاها أثناء التنويم، وهو في ذلك يجهل أسباب قيامه بالأفعال المطلوبة. ومع ذلك ، فإن الفعل الذي يقوم به المنوَّم – كما يقول فرويد – يبدو واضح السبب بالنسبة للمنوِّم المجرب: فالفعل هو نتاج لسبب يقع في دائرة اللاشعور وليس في دائرة الشعور أو الجانب الواعي من الشخصية[4].

ويستخلص فرويد انطلاقا من هذه الملاحظات بأن الأسباب الحقيقية لأفعالنا ليست معروفة دائما ، وذلك مهما تبدت لنا عند الضرورة. ويؤكد فرويد بقوة على أهمية هذه الملاحظات ومركزيتها داخل اكتشافاته . وهو يقول في هذا الخصوص: " **لقد قدر لي خلال إقامتي في نانسي أن أدرك أهمية العمليات النفسية المتخفيّة داخل وعي الناس**" .

لقد شكلت الملاحظات العلمية التي سجلها جوزيف بروير Joseph Breuer [5] حول مرضاه في الفترة الممتدة بين عامي 1880 – 1882 منطلق الحركة الفرويدية، وقد لعبت هذه الملاحظات العلمية دورا كبيرا في توجيه مسار مدرسة التحليل النفسي. وتنطلق ملاحظات بروير هذه من حالة مريضة كانت تعاني من وضعية هستيرية، وقد تماثلت للشفاء عندما تذكرت – تحت تأثير جلسات التنويم المغناطيسي – بعض الذكريات والحوادث الخاصة بعوامل مرضها. كانت المريضة فتاة شابة، تعاني من مختلف المظاهر الهيستيرية، كالشلل الذهني والاختلاطات النفسية. ولاحظ بروير **وعن طريق المصادفة أنه يمكنه أن يحرر المريضة من بعض حالاتها المَرَضيَّة ، وذلك عندما يتيح لها فرصة التعبير عما تشعر به**. ولذلك بدأ يمارس عليها حالات التنويم المغناطيسي ، دافعا إياها إلى الحديث الذاتي. ولاحظ في هذا السياق أن الاضطرابات التي تعانيها المريضة كانت تزول بتأثير التنفيس الذاتي. وأحاط بروير فرويد علما بما آلت إليه، واستطاع فرويد أن يوظف هذا الاكتشاف بطريقة عبقرية. فهنالك كثير من المظاهر العصابية الناجمة عن أحداث منسيَّة جرت في الماضي السحيق، وأن استذكار هذه الحوادث يؤدي إلى زوال الأعراض المرضية. فالعلاقة واضحة بين نسيان بعض الذكريات ووجود بعض المظاهر المرضية. لم تستطع مريضة بروير في حالة اليقظة أن تتذكر كيف ظهرت أعراضها المَرَضيَّة ، وهي لا تستطيع أن تجد أية علاقة بين هذه المظاهر المَرَضيَّة وانطباعاتها الحياتية، ولكن التنويم المغناطيسي استطاع أن يكشف هذه العلاقة المتخفيَّة.

فالذكريات المستعادة تعود إلى أحداث حياتية قديمة ، ولاسيما إلى مرحلة الطفولة. وكان لهذه الأحداث أن تؤثر بقوة على الفتاة. لقد أثارت هذه الذكريات القديمة جروحا نفسية عند المريضة. وأدت عملية استعادة هذه الذكريات إلى نتائج علاجية. ومن هذا المنطلق بدأ بروير وفرويد يعتمدان هذا المنهج العلاجي، ويطلقان عليها منهج التطهير النفسي Nettoyage de l'esprit . وعلى أثر ذلك نشر بروير وفرويد كتابهما المشترك عام 1893 وعنوانه : الآلية النفسية للمظاهر الهستيرية Hystériques du Mécanisme des Phénomèmes. فالمظاهر المختلفة للهستيرية كما يبين كتابهما هذا ليست مظاهر ساذجة أوديبية للمرض ، بل ترتبط وبقوة مع صدمة انفعالات مؤثرة ويمكن تحديد هذه الصدمة من خلال التنويم المغناطسي. وبالتالي فإن إدراك المرضى للأحداث والصدمات المسببة لاضطراباتهم يؤدي وبشكل تدريجي إلى شفائهم [6].

وتابع فرويد منهجه الجديد في علاج مرضاه مبتعدا عن منهج التنويم المغناطيسي معتمداً على طريقة التحدث الحر مع المريض ؛ حيث يطلب من المريض أن يسترخي ويتحدث بحرية مفصحاً عن كل ما يجول في خاطره من أفكار وكلمات، وقد أطلق على طريقته هذه طريقة (الترابط الحر) ، وقد نجحت طريقته هذه بصورة مميزة.

وقد أبدع فرويد - إلى جانب طريقة التداعي الحر - منهجا آخر يعتمد هذه المرة على تفسير الأحلام[7]، حيث يطلب من مريضه أن يسرد عليه حلمه الذي شاهده في الليلة الماضية، مستفيداً منه في التحليل، وقد وضع كتاب تفسير الأحلام الذي نشره سنة 1900، وقد شكل تحليل الحلم كوسيلة للكشف عن النوازع الداخلية الدفينة عند المريض منهجا سيكولوجيا ذائع الصيت وعظيم الأهمية. وأصبح تحليل الأحلام فيما بعد منهجا سيكولوجيا بالغ الأهمية في علم النفس .

أهم أعماله :

ترك فرويد تراثا ضخما متنوعا من الدراسات والأبحاث والكتب التي تناول فيها مختلف الظواهر النفسية والاجتماعية في عصره. وألف فرويد كتبا عديدة ، دار معظمها حول ظواهر "الهستيريا" و"الأحلام"، و "التحليل النفسي". وعرض فرويد نظريته في التحليل النفسي في جامعة كلارك في الولايات المتحدة في عام 1909 . وأسس جمعية التحليل النفسي في 1910 في ڤيينا، ثم عمل منذ 1919 أستاذا في جامعة ڤيينا. وعانى من مرض عضال منذ 1923 وحتى موته في 1939 .

من أهم كتبه ولادة التحليل النفسي في عام La Naissance de la psychanalyse([8]) وهو مجموعة ملاحظات كتبها بين عامي 1887 - 1902 ، وكتابه تفسير الأحلام عام 1900 L'interprétation des réves وتقنيات التحليل النفسي La Technique psychanalytique وهي مقالات كتبها بين عام 1904 - 1918 ، ([11]) ، والنكتة في علاقتها مع الحلم Le Mot d'es-prit et ses rapports avec l'inconseient عام 1905 ([12]) ، ثم ثلاث حالات في نظرية الجنس Trois Essais sur la théorie de la sexualité عام 1905 ([13]) ، ثم النكتة والحلم في "كراديفيا" لجونسون Délire et reves dans la "Gradiva" de Jensen عام 1904 ([14]) ومستقبل وهم عام 1907 L'Avenir d'une illusion ([15]) ؛ وما فوق مبدأ اللذة Au-

deladu principe de plaisiruhl 1920 [16] ؛ وخمس حالات من التحليل النفسي عام 1909 Cinq leçons sur la psychanalyse [17] ؛ وعلم نفس الحشود Psychologie des foules 1923 [18] ، ثم الأنا والهو "Le moi et le ça" [19] . وسيكولوجية العشق å Contribution la psychologie amoureuse" عام 1910 ، ثم ما بعد علم النفس Métopsychologie وهي مجموعة مقالات كتبت بين عامي عام 1912 – 1917 [20] . ويطالعنا بكتابه المشهور التوتم والتابو [21] عام 1912 Totem Et tabou [22] ، ثم حالة بارانويا والتناقض مع نظرية التحليل النفسي عام 1915 Communication d'un cas de paranoia en contradiction avic la théorie psychanalytique ومقدمة في التحليل النفسي عام 1917 Introduction a la psy-chanalyse [23] ؛ ومن كتبه المهمة أيضاً : اختفاء مركب أوديب عام 1924 La Disparition du complexe d'Oedipe [24] ؛ ثم بؤس في الحضارة عام 1930 Malaise dans la civil-isation [25] ؛ وهناك حشد كبير من المقالات والدراسات والأبحاث التي لا يتسع المكان لعرضها جميعاً في هذه الدراسة .

الحياة النفسية عند فرويد :

اكتشف فرويد منهجا سيكولوجيا متطورا للكشف عن أعماق النفس الإنسانية وخفاياها، وما التحليل النفسي إلا تطبيق لمنهجه من أجل الغور في عمق الحياة اللاشعورية واكتشاف أسرارها ومجاهلها. لقد أتاح منهج فرويد في التحليل النفسي لعلماء النفس إمكانية تحديد القوانين الأساسية التي تحكم الحياة النفسية عند الإنسان. وكان اكتشافه أشبه باكتشاف المناجم الكامنة تحت سطح الأرض، وتعادل أهمية هذا الاكتشاف اكتشاف الفحم والحديد والبترول على مستوى الحياة النفسية عند الإنسان" على حدّ تعبير فرانك دونوفان[26].

لم يكن اكتشاف فرويد منهجا لتخفيف الألم عند الإنسان فحسب ، وإنما كان اكتشافا للقوانين الأساسية التي تحكم دائرة العقل الباطن عند الإنسان وللعمليات اللاشعورية الدفينة التي تضرب جذورها في خفايا النفس الإنسانية (اللاشعور) ، وذلك عبر سلسلة معقدة وخفية من جدل العلاقة اللامتناهية بين جوانب الشخصية المختلفة.

والأهمية الكبرى في اكتشافات فرويد تكمن في **مقولة الحتمية الفيزيائية على المستوى النفسي ، فلا شيء يحدث بالصدفة في مستوى الحياة النفسية، ولا صدفة في خلجات النفس**

الإنسانية، وكل ما يحدث فيها يحدث وفق قانونية محددة ووفق عوامل وقوى سابقة الوجود. **فالسببية هي قانون الحركة النفسية**، وهذه السببية يمكن أن تكون مجهولة أو معروفة في بعض حلقاتها المتسلسلة. فالعمليات النفسية في كافة مظاهرها تجري في العرف الفرويدي بشكل مجانس لما يجري في إطار الظواهر الفيزيائية. وإذا كانت بعض مظاهر سلوكنا مجهولة ، فإن ذلك لا يعني أبدا أن عواملها غير موجودة ، فالأسباب كامنة في اللاشعور، وفي هذا الجانب من حياتنا النفسية يجب أن نبحث عن عوامل السلوك ومظاهره المختلفة.

يكمن جوهر نظرية فرويد في مقولته حول الحياة النفسية اللاشعورية " **فالنفس الإنسانية ليست مطابقة للشعور أو الوعي كما يرى ديكارت، بل هناك جانب فسيح** عميق من النفس الإنسانية تنطوي فيه الرغبات وجذور الغرائز، وهو جانب يختلف عن جانب الشعور والوعي"[27]. وتأسيسا على هذه الحقيقة يميز **فرويد بين مستويين للحياة النفسية عند الإنسان هما**: الشعور Conscient واللاشعور Inconscient . **وفي دائرة هذا التقسيم يعطي اللاشعور أهمية كبرى من حيث الأهمية والامتداد والجوهر. وهو يشبه التكوين النفسي للإنسان بجبل عملاق من الجليد يغوص في أعماق المحيط ، بينما تبرز قمته الظاهرة أو رأسه فوق سطح المحيط** . وفي دائرة هذه المماثلة والتشبيه بين التكوين النفسي للإنسان والجبل الجليدي، يشبّه فرويد اللاشعور كالكتلة الهائلة المغمورة في المياه، بينما يشبه الجانب الشعوري الواعي بالجزء الصغير العائم فوق الماء الجبل الجليدي. ويستنتج من ذلك بداهة أن اللاشعور يشكل المضمون المركزي لحياتنا النفسية ، حيث تكمن فيه الفعالية الحيوية الكبرى للنفس الإنسانية .

ومن جهة أخرى يميز فرويد في الشخصية الإنسانية ثلاثة مستويات ، هي: "الهو" Id والأنا Ego والأنا الأعلى Super-ego ويقوم بتفسير هذه الحياة النفسية والعمليات السيكولوجية للإنسان وفقا لجدل العلاقة بين هذه الجوانب الثلاثة للشخصية. ومن أجل تحليل بنية العلاقة بين البنية النفسية للفرد والجوانب السيكولوجية الثلاثية للشخصية يمكن النظر إلى الشكل التالي الذي يوضّح فيه فرويد نظريته وطبيعة العلاقة بين هذه الجوانب المختلفة للتكوين البنيوي السيكولوجي للإنسان.

يوضح الشكل رقم (1) طبيعة العلاقة بين مختلف جوانب الحياة النفسية. فالشخصية كينونة ثلاثية(هو – أنا – أنا أعلى) تغوص في المحيط على شكل جبل جليدي تظهر قمته ويغوص كله.

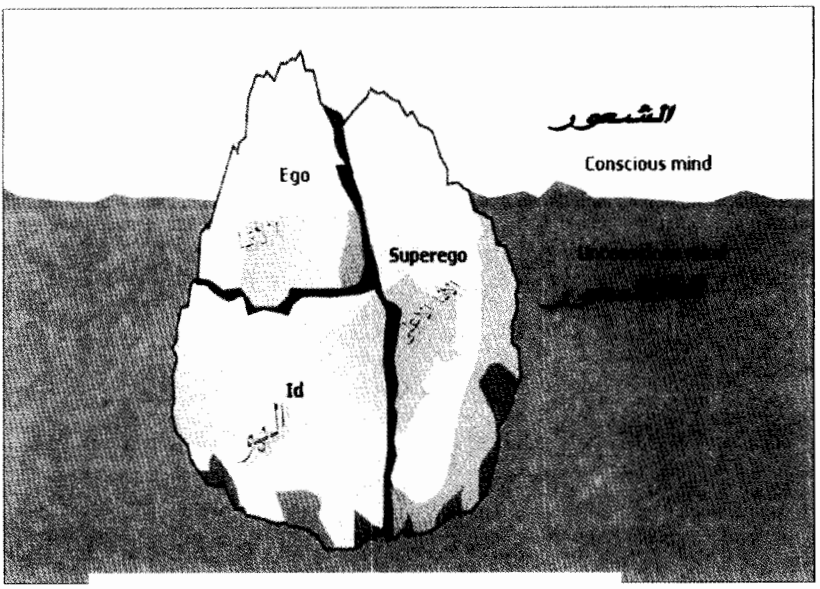

البنية النفسية للفرد في نظرية فرويد

إن اكتشاف اللاشعور عند فرويد كان أشبه **باكتشاف المناجم الكامنة تحت سطح الكرة الأرضية**. وأهمية هذا الاكتشاف تفوق أهمية اكتشاف الفحم والحديد فيما يتعلق بالجنس البشري. ولم يكتشف فرويد مجرد منهج لتخفيف ألم الإنسان فحسب ، بل اكتشف **القوانين التي تحكم دائرة اللاوعي عند الإنسان والعمليات الدفينة الضاربة جذورها في خفايا النفس الإنسانية. لقد برهن على أن ما هو ظاهر في سلوك الإنسان يرتبط بما هو كامن في أعماقه عبر سلاسل معقدة خفية ، حيث يمكن تحديد هذه العلاقة وفق قوانين يمكن أن تكون متناهية في الدقة**. لقد استطاع أن يكتشف قانون الحتمية النفسية، **إذ لا شيء يحدث بالصدفة على المستوى النفسي**، فكل شيء يحدث وفق عوامل وقوى محددة سابقة الوجود وفي نسق علاقة سببية مترابطة وثابتة. فكل فعل واع أو عاطفي وكل مرحلة سلوكية تحدث بظروف مسبقة ما. والظواهر العقلية لا يمكن لها أن تنفصل في أي اعتبار عن العمليات التي تحكم الظاهرة الفيزيائية ، فأسباب سلوكنا وردود أفعالنا الانفعالية وشخصيتنا موجودة في اللاشعور وكل جانب من جوانب حياتنا ، طبيعيا كان أم مرضيا ، هو نتاج لما يحصل بشكل لاشعوري في نفس الإنسان.

إن تطبيق هذا القانون على سلوك الأطفال أمر يتميز بالأهمية ، فأفعال الطفل الطبيعية وغير الطبيعية تعود إلى أسباب ما، و هذه الأسباب **قد تكون غير معروفة ، إلا أنها قابعة ثاوية في أعماق اللاشعور**. والطفل كما هو حال الراشد أيضا لا يدرك أسباب سلوكه الكامنة في لا شعوره . فكل ما يمكن لنا أن نشاهده من مظاهر سلوكية غير طبيعية عند المراهقين هو نتاج لصراعات فيزيائية لا شعورية أو لتجارب خارجية لا يدركها الطفل أو ذووه. وفي هذا السياق يعلن فرويدأإنه لا يوجد ما هو خير أو شرير في ذات الطفل، لأن الطفل يندفع تحت تأثير نوازعه الداخلية التي يجب أن تقهر وتكبت إذا توجب عليه أن يحيا في المجتمع، وهو لن يستطيع أن يتحرر أبدا أو كليا من تأثير طفولته.

ويصف فرويد اللحظات الفيزيائية التي تهيمن على السلوك وفقا لثلاثة مستويات ، هي: "الهو" ، والأنا ، والأنا الأعلى.

"الهو" Le ça - Id

يتمثل "الهو" في الجانب الدافعي في الشخصية، وهو اللحظة السيكولوجية التي تولد مع الإنسان، فالطفل المولود حديثا يكون مجرد كينونة نفسية تتطابق مع "الهو"، وهذا يعني أنه مجرد تكوين لا شعوري بالمطلق. والمبدأ الذي يهيمن في هذا المستوى من الشخصية هو مبدأ اللذة ، ويتمثل هذا في سعي الكائن الإنساني إلى تجنب الألم والحصول على قدر أكبر من المتعة الحسية واللذة. وهذا يعني أن "**الهو" كيان أعمى يموج بالطاقة والحيوية ، ويندفع نحو إشباع ذاته ، وهو لا يميز بين الوسائل التي ترضيه أو تشبعه ، فهو لا يأخذ طابعا أخلاقيا أو اجتماعيًا ، لأنه كتلة لبيدية متفجرة بالغرائز الأولية والدوافع**[28]. ويشكل "الهو" قطب الدوافع اللاشعورية عند الفرد. وهو كيان لا شعوري بالدرجة الأولى ، حيث يختزن الدوافع والميول الحيوية عند الفرد. فالطفل يولد وهو طاقة من الدوافع البيولوجية والفطرية التي تقتضي إشباعا لها.

الأنا Le moi - Ego :

يولد "الأنا" فيما بعد على مسرح الحياة النفسية للكائن البشري ، أي بعد مرحلة الولادة ، وتكون وظيفته الأولى في تطبيق ومراقبة وتنظيم رغبات "الهو" ؛ حيث يقوم بتطبيق مبدأ الواقعية الذي يتمثل في مطالب المحيط الخارجي والاجتماعي. فالأنا يأخذ صورة رقابة مركزية تحافظ على النظام ضد كافة أشكال الفوضى الغريزية طيلة مرحلة الحياة عند الإنسان .

ومرحلة "الأنا" هي أكثر المراحل أهمية في نمو الشخصية. فالأنا يعني هذا الجانب الذي

يحافظ على وحدة الشخصية ويعطيها هويتها وتماسكها . والهدف الأساسي لعملية النمو عند الإنسان هو تكوين "الأنا" السعيد المتكيف مع الحياة الاجتماعية. ووظيفة "الأنا" تتسم بالازدواجية: إذ يؤدي وظيفة خارجية ، وأخرى داخلية. تؤدي الوظيفة الخارجية عملية التعرف على المحيط والسيطرة عليه ومعرفة دواعيه، وهذه العملية مرهونة بالتدريب والتعلم على فهم وإدراك الواقع الموضوعي، ومعرفة المثيرات الغريزية المقاومة من منطقة "الهو" ومطالب المحيط الخارجي. وحين يقوم "الأنا" بعمله ويحقق نجاحا بذلك ، فإن الطفل يعيش المعنى الحقيقي للواقع. أما **الوظيفة الثانية فتقوم على معرفة "الهو" والسيطرة على غرائزه ودوافعه الفطرية ثم معرفة متطلبات "الأنا الأعلى".**

تقدم إيرين جوسلين في كتابها "الطفل السعيد" The Happy Child تحليلا عميقا لوظائف "الأنا" وتشبه عمله بعمل شرطي مرور بالقرب من مباراة للكرة ، الذي يمنع دخول أي شخص إلى المباراة دون بطاقة دخول. وهكذا يقوم "الأنا" بتنظيم عملية مرور الدوافع، إذ يمنع بعضها وقتيا من الظهور ، أي عندما تكون الإشارة حمراء ، ويسمح لبعضها الآخر بالمرور عندما تكون الإشارة خضراء. فالأنا يمنع من إشباع الدوافع التي لا تنسجم مع مبدأ الأمر الواقع. ولكن بعض الدوافع الممنوعة تجد طريقها وتتسلل عبر لحظات ضعف الأنا ، لتحقق نفسا ، بعيدا عن الرقابة المفروضة .

الأنا الأعلى :

وفي مرحلة أخرى من التطور والنضج تشهد الشخصية ولادة "الأنا الأعلى". و"الأنا الأعلى" تمثل الجانب الأخلاقي في شخصية الطفل. ويتكوّن هذا الجانب تحت تأثير القيم والمعايير الأخلاقية التي تسود في المجتمع. وحاله كحال "الأنا" ، إذ يقع جزء صغير منه في دائرة الشعور ، بينما يقع جانبه الأكبر في الامتداد اللاشعوري. والأنا الأعلى هو الضمير الأخلاقي في شخصية الطفل. ويختلف العلماء في تحديد المرحلة التي يولد فيها ذلك الجانب من الشخصية ، ولكن خلافاتهم تتجاوز القول بأن هذا الجانب "الأنا الأعلى" يولد بين السادسة والعاشرة من العمر. وتشير الملاحظات الواقعية إلى وجوده في مرحلة مبكرة قياسيا، إذ نجد الأطفال في عمر الثالثة يظهرون حركات تدل على شعورهم بالذنب أو مشاعر الرضا الاجتماعي، وهذا يعني ولادة "الأنا الأعلى" في بنيتهم النفسية.

ويشير التحليل النفسي إلى هذه الطاقة الفيزيائية الحيوية الجامحة التي تصدر عن الهو. وهذه الطاقة تسمى الدوافع ، " وأحيانا الغرائز " وأحيانا أخرى طاقة الليبيدو. والليبيدو يعني في اللاتينية طاقة اللذة. وبدون هذه الطاقة يفقد الإنسان وجوده ، ويصبح لا شيء ، وهو حين لا يستطيع تنظيم فعالياته ؛ يصبح متوحشاً بدائيا.

فطاقة "الهو" لا يمكن أن تدمر ، أو تمحى ، أو أن تختفي، ومحاولات قمع طاقات "الهو" تؤدي إلى اهتزازات عصبية حادة، وحين لا يستطيع الطفل إشباع هذه الميول ، فإنه قد يلجأ إلى أنماط من السلوك تلبي هذه الحاجات ، وهو ما يسمى "بالتكومن" وهي ردود أفعال انحرافية ، مثل مص الأصابع عند الأطفال الكبار[29].

ديناميةالعلاقة بين جوانب الشخصية :

يمكن التمييز بين الجوانب الثلاثة للشخصية ، أي بين "الأنا" و"الأنا الأعلى" و"الهو" عندما نراقب سلوك الأطفال بعناية ودقة. ومن أجل تبيان ذلك يمكن أن نسوق المثال التالي: فالطفل الذي يشاهد سقوط قطعة نقدية من أمه ، قد يقول لنفسه : "سآخذها وأشتري بها الحلوى" ، وهذا ما يمكن أن نسميه **نزعة "الهو" ، حيث يريد الطفل تحت تأثير ميله الدافعي إشباع دافع الجوع وتحقيق مبدأ اللذة** ، ولكن قد يقول الطفل لنفسه : "**لن آخذ هذه القطعة لأن أمي قد تلحظ ذلك وتعاقبني**" فالأنا هو الذي يتحدث هذه المرة ، ويعبر عن مبدأ الواقعية ، أي ما هو ممكن أو محال.

ولكن عندما يسيطر "الأنا الأعلى" فإن **الطفل قد يقول لنفسه: "سأعيد القطعة النقدية إلى أمي ، لأن استخدامه بغير حق يعدّ سرقة ، وسأخجل من نفسي لو كنت سارقا "فالضمير "الأنا الأعلى"** هو الذي يتحدث في هذه المرحلة . وباختصار ، فإن العمل التربوي الناجح هو العمل الذي يحدث التوازن بين جوانب الشخصية ، دون أن يؤدي ذلك إلى عصاب أو أمراض نفسية.

الليبيدو والحياة الجنسية :

يمثل الجانب الجنسي جانبا هاما من جوانب طاقة الليبيدو عند الإنسان. ويصنف فرويد الغرائز إلى مجموعتين :

- غرائز الجنس: وهي غرائز الحياة التي تهدف إلى تحقيق التوازن الذاتي[30].

- وغرائز العدوان: وهي غرائز الموت، فغريزة العدوان عند فرويد **لا تعني مجرد الميل إلى التدمير فحسب، بل تشتمل على الطموح والابتكار أيضا**. وفي الحين الذي لا توجد فيه غريزة التدمير ، فإنه لن يكون هناك مغامرون وعلماء ومصلحون اجتماعيون ، أي لا يمكن أن توجد المحرضات التي تدفع إلى الكشف والمبادرة والإبداع.

لقد أحدثت نظرية فرويد ثورة تربوية ، تجسدت في التركيز على أهمية الدافع الجنسي والجنسية الطفولية، ومن ثم على تأثير الحياة الجنسية في مظاهر الإبداع والانحرافات في حياة الناس. لقد أكد فرويد وجود حياة جنسية (الليبيدو) عند الأطفال، تتجلى بأشكال مختلفة ومتباينة، وبيّن أهمية هذا الدافع وتأثيره في الحياة النفسية والاجتماعية عند الأطفال. ولم يقف فرويد عند حدود اكتشاف مظاهر الحياة الجنسية عند الأطفال فحسب، بل قدم تحليلاً علمياً بالغ الأهمية حول طبيعة العلاقة الجدلية التي تقوم بين الطفل وأسرته ومحيطه، وكشف عن عواقب مبدأ اللذة ، وإمكانية وصول الأطفال إلى عمليات التسامي أو تعرضهم للعصاب. ويحدد فرويد ثلاثة مظاهر للجنسية الطفولية ، تتمثل في المرحلة الفمية (المص والرضاع) ، ثم في المرحلة الشرجية التي تتمثل في التبرز وطرح الفضلات، وأخيراً المرحلة القضيبية التي تتمثل في ظاهرة الاستمناء. وتبين نظرية التحليل أن المرحلتين الأولى والثانية يمثلان ما يسمى بالجنسانية الذاتية أو النرجسية ؛ حيث يكون موضوع اللذة هو جسد الطفل ذاته ، أي لا يوجد موضوع خارجي لعملية اللذة، وذلك على خلاف المرحلة القضيبية التي يبحث فيها الطفل عن موضوع خارجي للحصول على اللذة[31].

والأب يشكل المحور الذي تدور حوله جميع المشاكل الناجمة عن الأزمات الجنسية في حياة الطفل. فالآباء يمثلون "النماذج الجنسية "في حياة أطفالهم وهنا تكمن أهمية هذه الرؤية في تحديد الموقف التربوي للآباء من مظاهر الحياة الجنسية عند أطفالهم. فالطفل يتعرض للاضطراب النفسي والعاطفي حينما يتعرض للقمع كعقاب لبعض مظاهر سلوكية جنسية ، مثل مص الإبهام ، وملامسة الأعضاء الجنسية .

كان المفكرون، قبل فرويد، يعتقدون أن الغريزة الجنسية تكون في حالة غفوة حتى مرحلة المراهقة، أي في المرحلة التي تفصح عن نفسها بيولوجياً ، **ولكن فرويد يعلن عن وجود مؤشرات لوجود هذه الغريزة في مراحل مبكرة جدا من الطفولة**. وهو يستند في رأيه على معطيات واقعية تتعلق بعملية البحث عن اللذة الجسدية ، وذلك من خلال الجسدية الذاتية في بداية الأمر، ثم من

خلال الاتصال بأجساد الآخرين. وعندما يستخدم فرويد كلمة اجتماعي ، بدلاً من كلمى جنسي فإن هذا يمكنه من تجنب النقد الذي يمكن أن يوجه إلى نظريته. فالنمو العاطفي عند الطفل يشير في حقيقة الأمر إلى قدرة الطفل المتباينة على توجيه جزء من الحب نحو الذات واستثماره بحكمة في علاقة حب خارجية؛ ومما لاشك فيه أن توجه الحب نحو موضوعات خارجية يأخذ في جوهره طابعاً جنسياً ، وهذا يعني أن ذلك يرتبط بمسألة خلق الحياة والمحافظة عليها .

يتحدث فرويد كما أسلفنا أعلاه عن الحياة الجنسية عند الطفل ويحدد لها مراحل أربعة: المرحلة الفموية، والمرحلة الشرجية، والمرحلة القضيبية، ثم مرحلة البلوغ. وفي مجال التطبيق لا تحتل هذه الأفكار مكانا هاما بالنسبة للآباء والمربين ، باستثناء بعض الحالات التي تتعلق بتفاصيل مص الأصابع ، وهي مسألة طبيعية تتعلق بالمرحلة الضمنية.

فالطفل يمر بهذه المراحل الأربع على التعاقب ، وذلك حين لا يتعلق كثيراً بمرحلة من هذه المراحل. ففي المرحلة الفموية يشكل الطعام مصدر المتعة الحيوية للطفل ، وهي المرحلة التي يكون فيها الطفل أكثر تبعية واعتماداً على الآخرين .

وتأتي المرحلة الشرجية عندما يصبح الطفل قادرا على ضبط عملية إخراجه وهو عرضة للعيش في صراع بين مطالب الراشدين ورغبته في اللذة. وفي هذه المرحلة بالذات يناضل الطفل من أجل السيطرة على وظائف الإخراج ، فتمنحه إحساسا عميقا بالقدرة واحترام الذات.

أما في المرحلة القضيبية ، التي يطلق عليها المرحلة الأوديبية ، فتحتل المرحلة التي يصبح فيها الطفل أكثر وعيا لحبه المتعلق بوالديه. والطفل في هذه المرحلة يظهر تعلقاً متنامياً بالجنس المعاكس له بين الأبوين. فالطفل يظهر نمطاً جديداً من الحب إزاء أمه ويشعر بأن أباه ينافسه في الحب، وهذه المنافسة تولد لديه مشاعر عدائية تجاه الأب. وفي مرحلة النضج يوجه الطفل مشاعره العاطفية الأولى نحو أشخاص غرباء عن المنزل ولاسيما إلى أقرانه ؛ حيث تبدأ اهتماماته التربوية والاجتماعية ، ويتطور لديه الضمير أو الجانب الأخلاقي ممثلا بـ"الأنا الأعلى".

آليات الدفاع Mécanisme de défense:

لتحقيق التوازن السيكولوجي عند الطفل ، يستخدم "الأنا" كل ما يملك من طاقة لمنع اندفاع الغرائز غير المرغوب بها اجتماعيا وثقافيا، **ويعمل على تفريغ الغريزة الثائرة من طاقتها**

الحيوية. والأنا يقوم بوظائفه هذه للدفاع عن وحدة الشخصية ويسعى إلى تحقيق تكاملها. ومن أجل هذه الغاية يبدع "الأنا" عمليات خاصة يمكن له أن يستخدمها كوسائل دفاعية ضد اندفاعات "الهو" التي أطلقت عليها آنا فرويد "**ميكانيزمات الدفاع**" . وهنا نجد ما يسمى "بالكبت" و"الإسقاط" و"التثبيت" و"النكوص" و "التسامي" وغيرها كثير من العمليات الدفاعية. و أكثر الآباء يعترفون بوجود مثل هذه العمليات عند أطفالهم. ففي الوقت الذي يعزي طفل ما لطفل آخر رغبة أو ميل يرفضها "أناه" فهو يمارس ما يسمى بعملية الإسقاط، أي أنه يسقط مشاعره الداخلية على الآخر. وغالبا ما يعزي الطفل المتهم بذنب ما عمله هذا إلى شخص يتخيله قد قام بهذا العمل. ويعتقد المحلل النفسي أن الطفل في هذه الحالة لا يكذب بالضرورة أو بصورة واعية ، وهو يوافق على عملية إسقاطات الطفل ، ويطلب من الآخرين الموافقة على ذلك أيضا. ويمكن للطفل أن يلجأ لا شعوريا إلى نسيان الجوانب السيئة أو غير المرغوب فيها في حياته الخارجية بواسطة خيال خصب يرضي رغبته. فالطفل الذي يخاف من أبيه يزعم أنه الرجل الأقوى في العالم؛ وقد يؤذي الطفل نفسه ، وهو أمر معروف في مرحلة الطفولة. فالطفل الغاضب الذي لا يجسر على التعبير عن موضوع رغبته الأصلية، قد يعكس ذلك ضد نفسه، على سبيل المثال: **إذا كانت رغبته أن يلعب بالصحون ، وكان ذلك ممنوعا ، تحاشيا لكسرها ، فهو قد يعمد إلى إيذاء نفسه ، بدلا من تحطيم الصحون** .

وهناك آلية أخرى للدفاع يعرفها الأهل، ولكنهم لا يتحققون منها دائما، ويتمثل ذلك في خيال الطفل أو أحلامه. والمثال الذي يعرضه كارل جوستاف جونك يقدم تفسيرا لخيال الطفل الدفاعي، وذلك عبر اختبار قام بتطبيقه على مجموعة من الأطفال المشكلين الذين يعانون بعض الصعوبات. يطلب المحلل في اختباره هذا أن يقوم كل طفل بكتابة قصة قصيرة حول كلب صغير ضائع في الثلج. وقد كتبت طفلة من هؤلاء الأطفال تقول: ذهبت في نزهة مع معلمي ، ووصلنا إلى غابة جميلة ، وعندما بدأ رذاذ الماء البارد يسقط على وجهي ؛ عدوت هاربة ولم أستطع أن أجد معلمي . لقد تهت في الغابة المظلمة ، وكان البرد شديدا جدا ، ثم تملكني الخوف، وعندها لجأت إلى جوف شجرة منخورة. وكان الثلج يسقط سريعا وبدأ الظلام يصبح أكثر حلكة ، ثم سيطر عليّ إحساس بالشقاء المطلق. ولكن ذلك لم يذهب هدرا في هذه الليلة ، لأنني وجدت كلبا صغيرا، وفي الصباح عدت معه إلى البيت ، حيث كان لدينا سبعة كلاب صغار. يقول جينك : إن هذه الطفلة الشاردة كانت تنتمي لأسرة ينهمك أفرادها في العمل،

وهي واحدة من سبعة أطفال للأسرة، وكان لهم طفل يتميز بدرجة عالية من الذكاء. وكان الأهل يقلقهم الخيال الحالم لطفلتهم ، بينما كانوا فخورين بذكاء طفلهم. ويقول هنكر : إن الطفلة بشرودها هذا كانت ترغب في أن تكون محبوبة، حيث يرمز الكلب في الغابة إلى الوضعية العاطفية التي تعيشها مع أسرتها، والعودة بالكلب إلى المنزل يرمز إلى رغبتها في أن تكون محبوبة من أهلها وأخوتها ، وتتحرر من مشاعر الدونية التي أصيبت بها.

وأحد هؤلاء الأطفال وصف غضب المعلم حين وجد الكلب، وبدأ يضربه وهو يعبر في ذلك عن الإحساس بالكراهية والقلق إزاء أبيه. ويذهب طفل آخر إلى الحديث عن موت الكلب في حقول الثلج . وأحد الأطفال السعداء تحدث عن فرح الكلب الصغير وهو يلعب في حقول الثلج ، إلى أن وجدته سيدة لطيفة وأعادته إلى المنزل. ومن الملاحظ أن " أنا " الطفل الأخير لا يعاني من الكراهية تجاه والديه ، لأنه كان محبوبا ومرغوبا من قبلهم.

القلـق :

وفي محاولة ضبط اندفاعات "الهو" الداخلية والمنبهات الخارجية ، فإن "الأنا" يواجه بعدد من الحالات التي تثير القلق. ويعتقد فرويد أن القلق يشكل المسألة المركزية لعملية اللاتكيف الذهني والعاطفي ، وهو يلاحظ أن "الأنا" في مراحل الطفولة أكثر تعرضا للقلق والتوتر. وهو يربط بين حالة التوتر هذه وحالة الألم الشديد. فالأنا يواجه الاندفاعات الغريزية العنيفة التي يسعى إلى ضبطها والسيطرة عليها، وفي هذه الحالة ترتفع درجة التوتر والقلق بشكل أوتوماتيكي . ويعتقد فرويد أن النموذج الأول لحالة الألم والقلق التي يعانيها الكائن تكون في تجربة الولادة ذاتها(صدمة الميلاد) ، وذلك حين لا يكون "الأنا" قد تكوّن للدفاع عن المثيرات والمنبهات الخارجية.

ويعاني الأطفال حالة من التوتر والقلق مبعثها الخوف من رحيل الأم أو غيابها ، وذلك لأن الأم تشكل مصدرا ثرا لإرضاء رغبات الطفل واحتياجات "الهو" . وحين تذهب الأم ، فإن ذلك يثير لديه إحساسا بالبؤس والقلق ، ويبدأ الطفل في البكاء. وحين يتطور "الأنا" ويدرك الطفل أن الأم ستعود ، فإن القلق يتوارى عند الطفل. فالحالات المخيفة عند الطفل تنشأ تحت تأثير اندفاعات "الهو" أكثر منها تحت تأثير المنبهات الخارجية. واندفاعات "الهو" هي أكثر أهمية في المراحل الأولى من حياة الطفل. وتشير آنا فرويد في كتابها" "الأنا" وآليات الدفاع" إلى نوعين

من أنواع القلق: القلق الموضوعي الذي يتكوّن تحت تأثير ضغط العالم الخارجي، والقلق الدافعي الذي يولد تحت تأثير الاندفاعات الصادرة من عالم "الهو". ففي حالة القلق الموضوعي لا يكون القلق على درجة كبيرة من الأهمية التي نجدها في حالة القلق الدافعي أو الداخلي الذي ينبعث تحت تأثير الهو. وهنا يؤكد أصحاب التحليل النفسي أهمية تجنب أشكال العقاب القديمة التي تفوح برائحة العنف والتهديد، والتي مازالت تسجل حضورها في المناهج التربوية الأسرية . **فالأنا ليس بطبيعته حقلا للإشباع الغريزي الحر**، وعندما يتطور فعله من مستوى العمليات الأولية إلى العمليات الثانوية، من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع ، فإنه يصبح منطقة غريبة بالنسبة للغرائز(...) وحين تصبح مطالب "الهو" شديدة الاندفاع والإثارة ، فإن عداءه الأعمى لهذه الرغبات سيؤدي إلى حالة عصابية ، وإلى قلق يهدد شخصية الطفل.

فرويد وتأثير الوضعية الأوديبية :

يرى فرويد أن المرحلة الأوديبية أخطر مرحلة في نمو الطفل سيكولوجيا. والوضعية الأوديبية هي الحالة العاطفية للطفل التي تعتري الطفل بين الثالثة والخامسة من عمره، وفي هذه المرحلة تظهر لدى الطفل رغبات عاطفية نحو الأب من الجنس المخالف له. ويقابل ذلك حالة من العدوانية والغيرة تجاه الأب المماثل له الجنس ، ولكن العائلة تعمل على مواجهة هذه الرغبات العدوانية والرغبات العاطفية المستهجنة ، ومن ثم تعمل على إصدار تهديدات وتوجيه عقوبات مختلفة في درجة قوتها ، وفقا للتقاليد الخاصة بالعائلة (التهديد بالخصاء مثلا عند فرويد). وفي هذا السياق يلاحظ وجود إمكانيات متعددة للخروج من هذا المأزق الوجودي الذي يتمثل في الصراع بين الرغبات والعقوبات. ويعطي فرويد أهمية لطبيعة العقوبات التي تمارس ضد الطفل. فالعائلات الطهرية التقليدية أو المحافظة تمارس ضبطا يتميز بالشدة والقوة والعنف إزاء هذه الرغبات الأوديبية. وعندما يواجه الطفل هذا التسلط والمنع، يعمل على إخفاء كل ما يتعلق بالجنس؛ وسيكون لهذا العنف تأثير كبير في تشكيل الشخصية الأوديبية لدى الطفل . **فالتسامح التربوي هنا قد يؤدي إلى مخرج يجنب الطفل إرهاصات وإكراهات العقدة الأوديبية في المستقبل** . وهنا يصف فرويد انطباعات هذه المرحلة في المراحل اللاحقة من نمو الإنسان، فالمتمرد هو شخص لا يستطيع أن يخرج من دائرة العقدة الأوديبية، ولذلك فهو لا يستطيع أن يواجه السلطة التي تأخذ طابعا أبويا ، كما أنه لا يستطيع أن يتوافق مع الحب الذي يأخذ

طابعا أموميا ، فهو يعيش حالة حصار وقلق إزاء هاتين الحقيقتين ، وبالتالي فإن سلوكه يتميز بدرجة عالية من الآليات الدفاعية.

وفيما يتصل بعلاقات السلطة ، فإن الشخصية التمردية ترفض أية سلطة (الدولة – الرؤساء – المعلمون) ويأخذ الفرد الأوديبي (مصاب بعقدة أوديب) مكانه إلى جانب جميع هؤلاء الذين يناضلون ضد الاستبداد. وهو يرفض أي نوع من التوحد مع الراشدين. وهو يرتدي ثيابه بطريقة تميزه عن الآخرين، ويحاول أن يحقق ذاته بالانتماء إلى جماعات إنسانية هامشية، وتظهر لديه اللامبالاة الجنسية عبر طريقة ارتداء الثياب وتسريحات الشعر .

والشيء المهم بالنسبة للشخصية الأوديبية هو عدم الخضوع الرمزي إلى النواهي والأوامر: لا يعلن الفرد شكواه الخاصة بمشكلة ما، بل يسعى إلى تحييد المشكلة. وبالتالي فإن نرجسية المتمرد لا تستطيع أن تتحمل التناقض ، فهو مهيأ للرفض ، ويضخم الأمور البسيطة بشكل مبالغ فيه ، ويعمل على إضفاء الأهمية القصوى على أفكاره التي لا تخلو من التناقض ، وأن ينظر إليها بوصفها أفكار عبقرية. وفيما يتعلق بالعلاقات الجنسية ، فإن نرجسيته تشكل عقبة كبرى في سياق علاقاته العاطفية، فهو يعيش في المجتمع ، وينظر إليه كأم سيئة تطعم طفلها بقسوة وتكاد تخنقه من كثرة الطعام، ولذلك فهو يدافع عن نفسه ضد هذا الطعام ويمتنع عنه. ويستنتج من ذلك كله أن شخصية المتمرد تعود إلى أم قوية ، وإلى أب ضعيف ليس له وجود. وهو يلاحظ أيضا بأن هذا النموذج العائلي يميل ليصبح معياريا في داخل المجتمعات الأوروبية ، وهو ينتشر في كل مكان ويتسع .

المضامين التربوية لنظرية التحليل النفسي :

تنطلق التربية الحديثة على أساس فهم متقدم لطبيعة المتربي، وهذا يعني ضرورة التعرف على مكونات الشخصية من نوازع وميول ورغبات ودوافع من جهة، ثم ضرورة تحديد آليات العلاقة بين هذه المكونات من جهة أخرى؛ وذلك من أجل أن يحقق العمل التربوي فعله الخلّاق المبدع والمتكامل. وفي هذا الإطار تطرح نظرية التحليل النفسي نفسها إطارا فكريا ونظريا مرجعيا للعملية التربوية ، **لأن نظرية التحليل النفسي تشكل في ماهيتها منهجا يسعى إلى معرفة النفس الإنسانية وكشف مجاهلها وجوانب التفاعل والتكامل بين مكوناتها ، وهي بذلك تطرح نفسها كنظرية أساسية للعمل التربوي**. ومع أن التحليل النفسي قد نشأ وتطور لمعالجة

الأمراض النفسية عند الراشدين، إلا أنها تجاوزت قدرها هذا وبدأت تأخذ دورها **كنظرية سيكولوجية وقائية تسعى إلى حماية الأطفال من الآثار النفسية التي قد تترتب على العملية التربوية في مراحل الطفولة الأولى والمبكرة .**

وعلى الرغم من الانتقادات الشديدة التي وجهت إلى المشروعية التربوية لنظرية التحليل النفسي فإن المواقف التربوية بدأت تتحول تدريجيا لصالحها، وبدأت مفاهيم هذه النظرية وتصوراتها تحتل مكان الصدارة بين المبادئ التربوية الحديثة، وتأخذ مكانها بوصفها قاعدة أساسية في توجيه العمل التربوي وفي فهم السلوك الإنساني. فالأكثرية الساحقة من علماء النفس السلوكي – على الرغم من تباين وجهات نظرهم في بعض الجوانب المتعلقة بنظرية التحليل النفسي – **يتفقون اليوم على أهمية نظرية التحليل النفسي وقدرتها على تفسير الطاقة الحيوية للطفل، وهم في كل الأحوال لا يستطيعون رفض العرف الفرويدي على وجه كلي أو شمولي**، لأن هذه النظرية تقدم فهما عميقا وشاملا لبعض جوانب الحياة النفسية والعقلية عند الأطفال.

ويذهب بعض المفكرين إلى الاعتقاد بأن نظرية التحليل النفسي ستصبح يوما ما الإطار العام والمحوري لكل عمل تربوي يتعلق بتربية الأطفال والناشئة. وهم إذ يعتقدون ذلك ، فإنهم يرون بأن تحقيق هذا الأمر مرهون إلى حد كبير بمدى قدرة رواد هذه النظرية الجدد على تقديم رؤية شمولية متجانسة ومتكاملة تتجاوز كافة أشكال التناقض والاختلاف في كثير من المسائل والقضايا التي تتصل بأساس النظرية، حيث بلغت هذه التناقضات درجه عالية من الفوضى ، قلّ أن نجد لها مثيلا في أي مجال آخر من مجالات التنظير في العلوم الإنسانية على امتداد القرن العشرين. فالتناقضات والفوضى الفكرية التي تعانيها هذه النظرية تبرز على شكل ركام هائل من الأدبيات السيكولوجية المتباينة ، وهي تشبه إلى حد كبير، على حد تعبير دوماش، الصخب والمناقشات التي كان يثيرها رجال الدين في العصر الوسيط حول العدد الممكن من الملائكة الذين يستطيعون الرقص على رأس دبوس واحد في آن واحد.

في تحليله للجوانب التربوية لنظرية التحليل النفسي يشير ايرنست هارمز Ernest Harms في كتابه Handbook of child Ceuidano إلى أهم معطيات نظرية التحليل النفسي في مجال تربية الأطفال:

أ- لقد أتاحت هذه النظرية اكتشاف الأهمية الكبرى للسنوات الخمس الأولى في حياة

الطفل، ومدى تأثيرها على نموه العقلي والنفسي ، وذلك بالقياس إلى المراحل اللاحقة من حياة الإنسان.

2- أشارت هذه النظرية إلى أهمية وخطورة الصراعات النفسية في المراحل المبكرة عند الأطفال ، وأثرها في الاضطرابات العقلية عند الشباب والناشئة.

3- ألقت الضوء على طبيعة التباين بين البنية النفسية الطبيعية ، والبنية النفسية المرضية، وبينت أن الاختلاف بين البنيتين نتاج لاختلاف نوعي ، وليس نتاجا لاختلاف كمي (أكثر الناس يعانون نفس الصراعات الأساسية ولكن هذه الصراعات تختلف نوعيا بين الأسوياء والمرضى الذين يعانون من أمراض نفسية وعصبية).

4- أعطت نظرية التحليل النفسي أهمية خاصة وأولوية للمؤسسات التربوية المرجعية، وخاصة الأسرة كإطار مرجعي وموضوعي للعلاقة القائمة بين البنية النفسية والبنية البيولوجية والواقع الاجتماعي .

وإذا كان علم التربية ينطلق بالضرورة من **معطيات علوم ثلاثة ، هي البيولوجيا ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، فإن نظرية التحليل النفسي تشكل قاعدة انطلاق أساسية لكل منهج تربوي أصيل** . إن اكتشاف فرويد لقانونية السلوك الإنساني من جهة وأهمية اللاشعور في توجيه السلوك الإنساني من جهة أخرى أتاح لعلم التربية مجالاً حيوياً ينطلق منه نحو آفاق معرفية وتربوية جديدة.

إن نظرية فرويد قد هيأت للعمل التربوي المقدمات الأساسية وشكّلت إطارا حيويا لكل عملية تربوية تسعى إلى حماية الأطفال وترشيد سلوكهم ، وفقا لضرورات حياتهم النفسية والروحية. لقد أعلن جان جاك روسو منذ زمن بعيد أن طبيعة الإنسان خيرة ، وأن الإنسان يفسد في إطار المجتمع الذي يعيش فيه؛ وكان روسو يريد للطفل أن يعيش وفق طبيعته وعلى نحو من سجيته ، بعيدا عن القوالب التربوية الجامدة، وهنا تكمن عبقرية روسو التربوية التي رفعت من الحرية الإنسانية مبدأ شموليا للعملية التربوية، يضمن للأطفال تجنب مختلف أشكال القهر والكبت والحرمان [32]. وها هو فرويد يؤازر روسو ، إذ يعلن بأن لا وجود لما هو خير أو شرير في ذات الإنسان، وأن هناك قانونية تحكم سلوكه؛ **فالإنسان في عرف فرويد نتاج لم يكتمل للطبيعة لأنه يجابه اللامعقول**. وحين أدرك فرويد استحالة الفصل بين طرفي المعادلة بين الطفل والمجتمع، أدرك أهمية الكشف عن القانونية التي تحكم طرفي المعادلة التربوية بين الطفل

والمجتمع أو بين المعقول واللامعقول في لغة روسو. وهنا تكمن عبقرية فرويد وذلك عندما أراد الكشف قانونية المعادلة التي تجعل من الطفل في علاقته بالمجتمع مستلبا أو عصابيا على مستوى حياته الاجتماعية والنفسية[33].

وإذا كان كل من فرويد وروسو ينشدان الحرية للأطفال وتحقيق التوازن لنموهم النفسي والروحي، فقد تباينا في إعطاء الحلول ، حيث يريد روسو إبعاد الطفل عن الفساد الاجتماعي عن طريق التربية السلبية، بينما يبحث فرويد عن طريقة علمية تكشف صيرورة الفساد في داخل الحياة الاجتماعية ، وهو يريد أن يوظف هذه المعرفة علميا في تحقيق حرية الطفل عبر اكتشاف منطق الضرورة النفسية لديهم .

صيرورة التربية وفقا لمبدأ التقمص والتوحد :

تعد مقولة فرويد في التقمص Identification المنطلق الأساسي في نظرية التنشئة الاجتماعية. فعملية اكتساب الأدوار تتم عبر عملية التقمص، والتقمص هو "**العملية النفسية التي يتم من خلالها تمثل الفرد لمظاهر من مظاهر سلوك الآخر أو لخاصة من خواصه**" [34]. ويتمكن الطفل عبر عملية التقمص من اكتساب هويته الجنسية كما يتمكن من اكتساب الأدوار الاجتماعية واستبطان المفاهيم والتصورات والعقائد والقيم السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، ويتم هذا الاكتساب عبر سلسلة من العلاقات والفعاليات الاتصالية التي يقيمها الفرد مع الأشخاص الذين يحيطون به .

فالتنشئة الاجتماعية في البيان الفرويدي عملية تفاعل بين الحالة البيولوجية للفرد والحالة الاجتماعية التي تحيط به، وهذا يعني أن هذا التفاعل يتم بين "الهو" الذي يمثل الحالة الفطرية الأولى للكائن و "الأنا الأعلى" الذي يمثل الحالة الأخلاقية للمجتمع وبين الواقع الاجتماعي الذي يمثل ثقافة المجتمع، والتنشئة هي عملية تفاعل بين هذه الأطراف الثلاثة يتم عبر تدخل "الأنا" والذي يحقق التوازن والتكيف بين مختلف هذه الجوانب. فالطفل يتقمص شخصية أباه ، وكذلك الطفلة الصغيرة تتقمص شخصية الأم لكي تصبح امرأة ناضجة في المستقبل. وعندما لا يكون هناك نموذج يحتذيه الطفل في الأسرة ، فإن ذلك قد يفقده معالم رجولته ونضجه ويعرضه لكثير من وضعيات العصاب والأمراض النفسية في المستقبل ، التي تتمثل في عقدة النقص وعدم القدرة على تحقيق الذات. ومن هنا في الأصل تنبع عقدة أوديب ، وهي الحالة التي لا يستطيع

فيها الطفل أن يتقمص شخص الأب المجانس له ، فيلجأ إلى تقمص شخصية الأب المخالف له في الجنس. كأن تتنمذج الفتاة على شخص الأب ، أو أن يتنمذج الصبي في شخص الأم. وهذه النمذجة المخالفة للجنس تكسب الطفل خصائص وسمات الجنس المقابل له ، كأن يصبح الطفل أنثويا ، أي يحمل خصائص وصفات وسمات الأم سيكولوجيا ، وكذلك هو حال الصبي الذي يفقد خصائص الرجولة ، ولا يكتسبها أبدا ، لأنه لم يستطع التنمذج أو التوحد في شخص الأب لأسباب سيكولوجية تتمثل في عدم قدرته على تجاوز العقدة الأوديبية والانتقال من مرحلة الغيرة والكراهية للأب إلى وضعية التوافق والمحبة التي تتيح له نمذجة سيكولوجية مناسبة لجنسه.

نقد فرويد :

تعرضت نظرية فرويد ومقولاته المختلفة لانتقادات علمية وأخلاقية يندر مثيلها في تاريخ النقد الفكري على مدى القرن العشرين. لقد انبرى كثير من الكتاب لنقد فرويد من الجانب الأخلاقي، وهم في سياق نقدهم الأخلاقي هذا، يعلنون مسؤولية فرويد عن شيوع الحرية الجنسية وإثارة تعطش الشباب إلى هذه الحرية ، حيث لوحظ أن الشباب، ومن منطلق تفسيرهم الخاص لنظرية فرويد حول مخاطر الكبت والكبت الجنسي، يفسرون هذه النظرية بما يناسب إشباع الحاجات الجنسية والعاطفية ، منطلقين من شعار قوامه: **لا كبت بعد اليوم ، ويجب أن تفعل ما من شأنه أن يجنبك العصاب والاضطرابات النفسية والعصبية**. ومن هذه الزاوية اندفع كثير من الأدباء والمفكرين لنقد هذه النظرية ، وتوجيه أصابع الاتهام إلى فرويد ، وإعلان مسؤوليته عن انحلال القيم والأخلاق ، وترويجه لمفاهيم الحرية الجنسية التي أثارت حماس الشباب وتعطشهم إلى إرواء دوافعهم الجنسية دون ضوابط أخلاقية أو اجتماعية.

وفي المستوى العلمي يرى بعض النقاد أن هذه النظرية لا تستقيم بمعايير الموضوعية العلمية، لأن مهمة التحليل النفسي تكون في الكشف عن النوازع اللاشعورية الخفية والكامنة في الأعماق، لأن المريض يستطيع أن يسيطر على هذه النوازع عندما تتاح له فرصة كشفها ومعرفتها ، ولكن الطفل من وجهة نظر نقدية لم يصل إلى مرحلة النضج من أجل السيطرة على نوازعه اللاشعورية والتخلص من آثارها ، ولكن آنا فرويد – التي نالت حظوة كبيرة في ميدان التحليل النفسي – بينت في معرض الرد على هذا التوجه أهمية التحليل النفسي لذوي الطفل

المراد علاجه، وأن تحليل ذوي الطفل يساعد ذلك في فهم الأسباب الحقيقية لسلوك الطفل ، وتصور ما يسهم في إجراء التعبير الممكن في مواقفه واتجاهاته إزاء نفسه. كما أن التحليل الحديث يهتم اليوم بدرجة أكبر **بتطبيق مبادئ التحليل النفسي في تطوير إمكانيات النمو عند الأطفال الأسوياء ، وذلك بالقياس إلى علاج الأطفال غير الأسوياء وتحليلهم** . فأكثرية الاختصاصين يرفضون مفهوم "العقدة الأوديبية" ، وهو مفهوم مركزي في نظرية فرويد ، ويعتقدون بأن عداوة الابن للأب يمكن أن تظهر في بعض المجتمعات فحسب، فالسلوك الأوديبي كما يعتقدون يأتي نتاجا لشروط الحياة الاجتماعية وطبيعة البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل. فالطفل في الأسرة النواتية يظهر عداوته الأوديبية ضد الأب من نفس الجنس (الصبي ضد الأب والبنت ضد الأم) ، وذلك لأن الأسرة النووية يقتصر عدد أفرادها على الأبوين والأطفال، والأم في هذه الحالة تمثل مصدر الأمن والطمأنينة بالنسبة للطفل ؛ حيث يتعلق الطفل بأمه بشكل كبير ويغار عليها من الأب ، لأنها تشكل نسق حياته ومعين وجوده .

وفي المستوى العلمي أيضا يأخذ المفكرون في الفروع العلمية الأخرى اتجاهين متناقضين من معطيات نظرية فرويد .. فبينما يذهب فريق منهم إلى قبول نظرية فرويد على علاتها ، يأخذ الفريق الآخر موقفا رافضا لها على حسناتها. وفي هذا السياق يرفض المعارضون المتطرفون أن يكون لنظرية فرويد موقع علمي ، لأن فرضياته وتصوراته لا يمكن أن تخضع للاختبار العلمي ، ويصعب اختبار كثير من المعادلات البسيطة التي تطرحها ، لأن نظريته تبحث في الأعماق التي لا تقربها أدوات التجريب والاختبار. وعلى هذا الأساس يرفض كثير من المفكرين مشروعية النظرية علميا ، إلا فيما يتعلق ببعض الحالات الفردية الإكلينيكية المحدودة جدا.

ومع الزمن بدأت هذه المواقف الراديكالية تخفف من لهجتها وتتغير تدريجيا باتجاه الاعتدال والقبول تحت تأثير الانتشار الكبير لمفاهيم وتصورات هذه النظرية التي فرضت مفاهيمها ومقولاتها في كثير من الميادين العلمية ولاسيما السلوكية منها. وقد ترافق انتشار هذه النظرية علميا بانتشارها ثقافيا واجتماعيا. ومع أن نظرية فرويد قد لقيت تنوعا هائلا في ميدان التفسير الذي يقدمه عدد كبير من المفكرين والعلماء ، ومع أهمية الاختلاف والتباين الكبير في الرؤى والتصورات المتعلقة بالنظرية، إلا أن ذلك لم يمنع من تبلور رؤية واحدة مشتركة بين الجميع تؤكد على أهمية هذه النظرية وعلى دورها المتعاظم في فهم النفس الإنسانية وفي الكشف عن أعماقها، كما تؤكد في الوقت نفسه على أهميتها في فهم الطاقة

السيكولوجية الحيوية للطفل . ويعلن كثير من النقاد والمعارضين أنه لا يمكن رفض الأفكار والتصورات الفرويدية ، إذا كان المرء يسعى إلى إدراك عميق لطبيعة الحياة النفسية عند الأطفال. **وبعض المفكرين يذهب بعيدا ، إذ يعلن بأن نظرية التحليل النفسي ستصبح يوما ما الإطار العام لكل عمل تربوي يتعلق بتربية الأطفال والشباب. ومن أجل أن تصبح هذه النظرية كما هو متوقع لها** أساساً مرجعياً للتربية ، فإنه يتوجب على رواد هذه النظرية تكوين رؤية واحدة متجانسة لعناصر نظريتهم، وهذا المطلب سيتحقق عندما يحاصرون دائرة التناقض والتنافر والصراع التي تهدد مستقبل هذه النظرية وتطورها .

ومهما تكن طبيعة الانتقادات الموجهة إلى فرويد ونظريته السيكولوجية ، فإنه لا يمكن لأحد اليوم أن يتنكر للعطاءات الكبيرة التي تقدمها في مجال التربية. ومن يتأمل جيدا في النظريات التربوية التي سبقت فرويد ، سيجد أن هذه النظريات كانت قبل فرويد قد أعلنت أن الخبرات السيئة في مرحلة الطفولة تؤدي إلى خلل في شخصية الإنسان ، وأن الطفل يجب أن يحاط بالرعاية والحنان ، وأن يجنب الخبرات القاسية ؛ من أجل أن يكون أكثر قدرة على مواجهة الحياة مواجهة المبادرين والمبدعين والقادرين .

الآثار التربوية لنظرية فرويد :

تركت الفرويدية أو مدرسة التحليل النفسي بصماتها في العصر وعلى العصر، وأدى انتشارها إلى انهيار السلطة الأبوية والدينية الكنسية في أوروبا في القرن العشرين. وقد لعبت دوراً كبيراً في هدم كل ما هو تقليدي ، واحتلت مكان الصدارة بين الفلسفات التأملية الخجلة [35].

لقد تركت الفرويدية، بوصفها موقفا فلسفيا من العالم، آثارها العميقة على جوانب الحياة الفكرية وذلك في مجال الأدب والفن والفلسفة والتربية. ولم يكن فرويد يدرك بأن نظريته هذه سيكون لها ذلك الشأن وهذا التأثير الذي فاق كل أحلامه في الحياة الفكرية، فطموحه المعرفي لم يتجاوز حدود الكشف عن قانونية النفس الإنسانية واكتشاف مجاهل الأعماق واللاشعور الإنساني، وذلك من أجل تقديم العلاج المناسب للمرضى النفسيين الذين يعانون من مركبات النقص والخوف والرهاب .

لقد سادت مفاهيم هذه النظرية في مختلف الأوساط العلمية والاجتماعية ، فشاعت مفاهيمها في الأوساط الأدبية والعلمية والشعبية بصورة لا مثيل لها في تاريخ النظريات

والمعارف العلمية. وبدأت مفاهيم مثل: النكوص Régression، والكبت Réfoulement، والتثبيت Fixation، والإسقاط Projection، والعقد النفسية Complexes، والتسامي Sublimation، والتحويل Déplacement، والشعور Consceint ، واللاشعور Inconscient، وعقدة أوديب Complexe d'oedipe تشكل المحاور الأساسية لثقافة سيكولوجية وتربوية طاغية ومهيمنة في القرن العشرين .

وفي هذا الصدد يقول جان ماري دومناش: " إن تأثير فرويد في العصر الذي نعيش فيه قد تجاوز تأثير كارل ماركس، وإذا كان قد قدر للفلسفة الماركسية أن تنتصر في عدد من البلدان ، فإن نظرية التحليل النفسي مازالت تسجل انتصارات متلاحقة في أكثرها"[36].

لقد تجاوزت الفرويدية حدود نظرية في علم النفس ، وتحولت إلى نظرية متكاملة في مجال التربية والعمل التربوي، وقد قدر لها أيضا أن تطرح نفسها كبرنامج عمل يوجه سلوك الشباب والمربيين والمعلمين والمفكرين في كثير من جوانب حياتهم السلوكية والتربوية. وإذا كان فرويد قد أراد لنظريته في التحليل النفسي أن تكون منهجا يسعى للكشف عن مجاهل النفس الإنسانية ومعرفة جوانبها ومكوناتها ، فإن نظريته هذه استطاعت أن تمارس أدوارا متنوعة ووظائف متعددة.

ولا يستطيع الباحث في إطار مقولة كهذه أن يغطي مختلف الجوانب التربوية لنظرية التحليل النفسي التي قدر لها أن تكون منطلقا أساسيا للعمل التربوي في جوانبه المختلفة. وإذا أريد لنا أن نقدم عرضا سريعا لملامح هذه النظرية على المستوى التربوي ، فإننا نستطيع أن نستعرض بعض المحاور التالية :

- لقد أسهمت هذه النظرية في الكشف عن طبيعة النفس الإنسانية ، وعن آليات الفعل النفسي وقانونيته ، بما يساعد المربي على التحكم في العملية التربوية ، بما من شأنه أن يحقق التوازن التربوي والنفسي في شخص الأطفال والمتعلمين .
- بينت هذه النظرية – كما بيّنا سابقا – أهمية المراحل الأولى في حياة الأطفال ، ولاسيما السنوات الخمس الأولى من عمر الطفولة ، مؤكدة أثر هذه المرحلة في تشكيل شخصية الطفل .
- تساعد هذه النظرية العاملين في مجال التربية على إدراك أهمية تجنيب الأطفال الصراعات النفسية والخبرات التربوية السلبية التي تنعكس سلبا على نموهم النفسي والانفعالي .

- تبرز هذه النظرية أهمية الدافع الجنسي في حياة الأطفال ، وتتيح للمربين إمكانية تجاوز الجوانب السلبية في مجال التربية الجنسية .
- تحدد نظرية التحليل النفسي قانونية التنشئة الاجتماعية ، وهذا من شأنه أن يساعد في دفع عملية التنشئة الاجتماعية نحو آفاق جديدة متكاملة .
- تقدم النظرية نفسها للمربي كمنهج للكشف عن التناقضات الداخلية في حياة الأطفال والناشئة ، وتتيح لهم تشخيص بعض الصعوبات النفسية والتربوية التي يعانون منها، كما تتيح لهم الوسائل الكفيلة في إيجاد الحلول المناسبة ، والعلاج الأمثل لما يعانونه.
- وأخيرا فإن هذه النظرية تطرح نفسها منهجا تربويا وقائيا يساعد المربين في حماية الأطفال من العقد النفسية ، وفي إيصالهم إلى مستوى التفتح والازدهار والتكامل على المستوى التربوي والنفسي .

الهوامش :

1 – مدينة تشيكوسلوڤاكية حالياً .

2 – لقد كان الدكتور شاركوت 1825 – 1893 من أبرز شخصيات مدرسة باريس ، إذ كان يعالج المصابين بالهستيريا عن طريق التنويم المغناطيسي .

3 – ساهمت مدرسة نانسي بفرنسا في التنويم المغناطيسي واستعملته في معالجة الحالات العصبية .

4 – اللاشعور : مستودع الدوافع البدائية الحسية وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكونة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان . إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة ، وليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكار والذكريات غير المهمة .

5 – جوزيف بروير 1842–1925 طبيب نمساوي صديق لفرويد، وهو فيزيولوجي في الأصل ، لكنه انتقل إلى العمل الطبي ، إذ كان ممن يستعملون التنويم المغناطيسي أيضاً.

6 - S. Freud & J. Breuer, Études sur l'hystérie (ber den psychischen Mechanismus hysterischer Phénomène, 1893; Studien über Hysterie, 1895), trad. A. Berman, P.U.F., 1967.

7 – الحلم عند فرويد انحراف عن الرغبة الأصلية المستكينة في أعماق النفس ، وهي رغبة مكبوتة يقاومها صاحبها في مستوى الشعور ويعيدها إلى اللاشعور، وأثناء النوم عندما تضعف الرقابة تأخذ طريقها ، باحثة لها عن مخرج.

8 - S. FREUD, La Naissance de la Psychanalyse. Lettres a Wilhelm Fliess, Notes Et Plans (Aus den Anfengen der Psychoanalyse, 1887-1902), M. Bonaparte, A. Freud et E. Kris ´ed, Trad. A. Berman, P.U.F., Paris, 1956,

5 ´ed. 1986.

9 - S. FREUD, L'Interprétation des rêves(Die Traumdeuntung, 1900), trad. I. Meyerson, rev. par D. Berger, France Loisirs, Paris, nouv. éd., 1989.

10 -S. FREUD, Psychopathologie de la vie quotidienne(Zur Psychopathologie des Alltagslebens, 1901), trad. S. Jankélévitch, rééd. Payot, Paris, 1967. Le Rêve et son interprétation(ber den Traum, 1901), trad. H. Legros, rééd. Gallimard, 1969.

11 -S. FREUD, La Technique psychanalytique(articles 1904-1918), trad. A. Berman, 6e éd., P.U.F., 1977. Cinq Psychanalyses(articles 1905-1918), trad. M. Bonaparte et R. M. Lœwenstein, 15e éd., P.U.F., 1989.

12 -S. FREUD, Le Mot d'esprit et ses rapports avec l'inconscient(Der Witz und seine Beziehung zum Unbewussten, 1905), trad. M. Bonaparte et M. Nathan, rééd. Gallimard, 1969, nouv. trad. D. Messier, ibid., 1988.

13- S- FREUD, Trois Essais sur la théorie de la sexualité(Drei Abhandlungen zur Sexualtheorie, 1905), trad. B. Reverchon-Jouve, Gallimard, 1962. Essais de psychanalyse appliquée(articles 1906-1923), trad. M. Bonaparte et E. Marty, Gallimard, 1953.

14- S-FREUD, Délire et rêves dans la «Gradiva» de Jensen(Der Wahn und die Treume in W. Jensens «Gradiva», 1907), trad. M. Bonaparte, Gallimard, 1949.

15- S. FREUD, L'Avenir d'une illusion(Zwangshandlungen und Religionsübungen, 1907. Die Zukunft einer Illusion, 1927), trad. M. Bonaparte, 5e éd., P.U.F., 1980.

16- S. FREUD, « Au-delà du principe de plaisir »(« Jenseits des Lustprinzips », 1920), in Essais de psychanalyse, trad. S. Jankélévitch, Payot, 1927. nouv. trad. A. Bourguignon et al., 1981

17- S. FREUD, Cinq Leçons sur la psychanalyse(ber Psychoanalyse, 1909), trad. Y. Le Lay et S. Jankélévitch, 25e éd. Payot, 1989. Essais de psychanalyse(«Considérations actuelles sur la guerre et la mort», 1915. «Au-delà du principe de plaisir», 1920.

18 – انظر: س. فرويد: "علم النفس الجمعي وتحليل "الأنا"، دار الطليعة، بيروت 1979 .

19- S. FREUD, «Psychologie des foules et analyse du Moi», 1921. «Le moi et le ça», 1923), trad. S. Jankélévitch, Payot, 1927, éd. rev. A. Hesnard,

1963, nouv. trad. A. Bourguignon, P. Cotet, J. Laplanche et al., Payot, 1981.

20- S. FREUD, Métapsychologie(articles 1912-1917), trad. J. Laplanche et J.-B. Pontalis, Paris, 1968.

21 - الطوطم (Totem): مصطلح أنثروبولوجي يعني الحيوان أو النبات(أو أي شيء آخر) تعتبره القبيلة رمزا لها. التابو (Taboo) : مصطلح أنثروبولوجي يعني الحرام أو المحرّم.

22- S. FREUD,Totem et tabou(Totem und Tabu, 1912), trad. S. Jankélévitch, 7e éd. Payot, 1977. «La Disposition à la névrose obsessionnelle»(Die Disposition zur Zwangsneurose, 1913), in Névrose, psychose et perversion, P.U.F., 6e éd. 1988

23- S. FREUD, Introduction à la psychanalyse(Vorlesungen zur Einführung an der Psychoanalyse, 1916-1917), trad. S. Jankélévitch, 15e éd. Payot, 1979.

24- S. FREUD, «La Disparition du complexe d'Œdipe»(Der Untergang des dipuskomplexes, 1924), in La Vie sexuelle. «Le Problème économique du masochisme»(Das _konomische Problem des Masochismus, 1924), trad. J. Laplanche, in Névrose, psychose et perversion.

25- S. FREUD, Malaise dans la civilisation(Das Unbehagen in der Kultur, 1930), trad. M. Bonaparte, P.U.F., 9e éd. 1983, trad. C. et J. Odier, 10e éd. 1986.

26- Frank R. Donovan. " Education stricte ou Education Liberale ", Ribert laffont, Paris, 1986 ,135.

27 - عبد الكريم اليافي، "فصول في المجتمع والنفس "، دمشق، 1974، ص123.

28 - اللبيدو طاقة حيوية جنسية، فالجنس هو النشاط الذي يستهدف اللذة ، وهو يلازم الفرد منذ مولده، إذ يصبح الأداة الرئيسية التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في استجابته لمنبهاته.

29 - يعتبر فرويد مص الأصابع لدى الطفل نوعاً من السرور الجنسي الفمي ومثل ذلك عض الأشياء، فيما يعد التغوط والتبول نوعاً من السرور الجنسي الإستي كما أن الحركات المنتظمة للرجلين واليدين عند الطفل إنما هي تعبيرات جنسية طفولية.

30 - يفترض فرويد وجود غريزتين ينطوي فيهما كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وهما غريزة الحياة وغريزة الموت. غريزة الحياة تتضمن مفهوم اللبيدو وجزءاً من غريزة حفظ الذات، أما غريزة الموت فتمثل نظرية العدوان والهدم موجهة أساساً إلى الذات ثم تنتقل إلى الآخرين.

31 - انظر : فاطمة جيوشي ، التربية العامة ، جامعة دمشق ، كلية التربية ، دمشق ، 1985 .

32 - نظرية الكبت: هي دعامة نظرية التحليل النفسي ، وهي أهم قسم فيه ، إذ إنه لا بد من الرجوع إلى الطفولة المبكرة وإلى الهجمات الخيالية التي يراد بها إخفاء فاعليات العشق الذاتي أيام الطفولة الأولى ، إذ تظهر كل الحياة الجنسية للطفل من وراء هذه الخيالات.

33 - انظر : مجلة الفكر العربي المعاصر ، محور التحليل النفسي والبنيوية ، عدد 23 ، كانون الأول 1982 ، كانون الثاني 1983 .

34 - مارسيل بوستيك، العلاقة التربوية، ترجمة محمد بشير النحاس، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، 1986، ص 170 .

35- Jeun-Marie Domenache. Enquête sur les Idées, même source P.46.

36- Jeun-Marie Domenache. Enquête sur les Idées contemporaines Seuil, Paris, 1981,P44.